مجلة عصور المجلد 17 العدد الأول سبتمبر 2018
ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003- Depot légal868

الهدايا الدبلوماسية وأغراضها بين المغرب الأوسط والعالم الإسلامي

دة/ تواتية بودالية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة مصطفى إسطمبولي
معسكر
boudalia.touatia@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال:25 -04- 2018

الملخص:
تعتبر الهدايا الدبلوماسية تقليدا قديما بين الدول ووسيلة للتعبير عن الواقع المأمول، وتحمل الهدايا في طياتها أكثر من مغزى ومعنى حسب نوعها، وزمنها، وظروف تقدميها، ووسعت بشكل كبير مضمون الشؤون الدولية وغيرت من طبيعتها للبحث عن الأمن والسلام بين الدول، أو للتعبير عن التفاعل والتكامل والتعاون، وغيرها من الأغراض التي تحكمها العلاقات الدولية في مجال السلم والحرب. وعلى صعيد أخر تكون الهدايا في جوهرها غير مهمة وتتسبب في خلاف بين الدول كالتحقير والإهانة . وللتفصيل في حيثيات الموضوع اخترنا موضوع" **الهدايا الدبلوماسية وأغراضها بين المغرب الأوسط والعالم الإسلامي"**

ويهدف هذا البحث إلى توضيح أغراض الهدايا الدبلوماسية بين المغرب الأوسط والعالم الإسلامي على عدة مستويات بحيث تتلاءم مع المتغيرات الدولية، وتعكس هذه المبادرة تنمية العلاقات السياسية، والصلات الشخصية بين الحكام والملوك، وتقوية الروابط الاقتصادية، والثقافية، وتعزيز مصالح الرعايا من الحجاج في المشرق.

وبغض النّظر عن الأغراض الهدايا سواء سياسية أو اقتصادية أو تجارية، أو متعلقة بالحجاج، فإنّ الدراسة كشفت عن خلفيات التّحدي القائم بين السلطة الزمنية مغربا ومشرقا، ومضمون الهدية ساهم في صقل العلاقات

المشتركة، ومن ثم الوصول إلى حلول بصورة عقلانية وفعالة سواء للتّكامل أو لتجنب الخلاف في العلاقات الدولية.

الكلمات المفتاحية: الهدية- الدبلوماسية- التهنئة- التعزية- الصداقة- الصلح- الحج، المكافأة

Abstract:

Diplomic gifts or presents are ancient tradotion and they used to be exchanged between nation as a good way to express the hope for a better future ties, the gifts represent more than thier values according to their type, circumstances and the that they given in. They have greatly deepened the international and helped to sustain security and peace between countries and considered as a means of humiliation and insult. In detailing the topic, we chose the theme « diplomatic gifts and thier objects between the middle maghreb and the islamic world ».

The purpose of this research is to clarify the purposes of diplomatic gifts between the middle maghreb and the islamic world at various levels to suit international changes. This initiative reflects the development of political ralations, the personal connections between kings and statesmen, the strengthening of economic and cultural ties, and the promotion of the interests of the pilgrims in the holy sites in mashreq.

Regardless of the purpose of gifts, whether political, econimic or commercial, or related to the pilgrims, the study revealed the background of the challenge between the governments at that pilgrims, the study revealed the background of the challenge between the governments at that time in maghreb and mashreq and the gift value contributed to the refinement of the common relations. And thus to arrive at rational and effective solutions both to complementarity and to avoid conflict in international relations.

مقدمة:

لقد تطورت الدبلوماسية في التاريخ العربي الإسلامي وتنوعت وسائلها وأساليبها باختلاف الدول والحضارات، وتجلت الممارسة الدبلوماسية من خلال ربط العلاقات مع الخارج من الدول القريبة والبعيدة جغرافيا من مختلف النّواحي. وكانت مهمة الرسل من أفضل وسائل الإتصال لتحقيق هدف الدبلوماسية.

وتعبر هذه الدراسة عن إطار زمني متناسق ومترابط بين المغرب الأوسط والعالم الإسلامي، من خلال التّحولات المتشابكة والمتماسكة على مستوى العلاقات الدولية في العصر الوسيط، وهو التغير الذي كشف النّقاب عن أساليب التّكيف في معالجة التّحديات السياسية لتحقيق الاستقرار والتعاون، حيث تستلزم عملية صناعة العلاقات الخارجية التعامل بأدوات مبتكرة في مقدمتها الهدايا التي تستخدم في مجال التّفاوض والاتصال لصنع القرار على مستوى المهمة التّمثيلية الموكلة للدبلوماسي، ومن أجل تحقيق مصلحة معينة سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الديني أو الثقافي.

وتتميز حقيقة التّواصل السياسي في مد جسور التّعاون والتّحالف وانجاع العملية الدبلوماسية. وتنقسم الهدية من حيث قيمتها إلى الهدايا الفاخرة والعادية، ويختلف تقديمها من الرغبة الشخصية إلى الإجبارية ومهابة الطرف الأخر في حالات السلم والحرب، وحالات الود والوئام بين الأفراد والسلطة. وبذلك يمكن اعتبار الهدية الجسر الذي يخاطب العقول والقلوب، وتبليغ التّوافق الاجتماعي بين الحكام وبين الآخرين، وبفضله يمكن رؤية الجانب العلائقي بين الأفراد، وتسهيل عملية التّواصل السياسي في مختلف النواحي.

وتهتم هذه الدراسة بتحديد أغراض الهدايا في التمثيل الدبلوماسي إما لتحقيق التقارب أو التباعد وتغليب القوة والمكانة للدول. وتنوعت بين التقارب السياسي والاقتصادي والتّهنئة والتّعزية والبيعة، والاستنجاد والاعتذار والتحقير والصداقة وبالمكافأة، ورعاية الحجاج . وجلها ستقدم في طياتها واقع العلاقات بين المغرب الأوسط والعالم الإسلامي في العصر الوسيط.

أولا: <u>الهدية لغة واصطلاحا</u> :

الهديـة: مـا أتحفـت بـه، يقـال : أهـديت لـه وإليـه. والتّهـادي: أن يهـدي بعضهم إلى بعض[1]. والهدية هي:"ما يؤخذ بلا شرط الإعادة"[(2)]. أمـا تعريـف الهدية في الاصطلاح " أنّ الهبة والصّدقة والعطيّة والهديّـة معانيها متقاربـة، وكلّها تمليك في الحياة بغير عوض، واسم العطيّة شامل لجميعها، وكذلك الهبة"[3]. ويضيف في موضع أخر" من دفع إلى إنسان شيئا للتّقرب إليه، فهو هدية"[4].

وقال القرطبي: "الهدية مندوب إليها، وهي ممّا تورث المودة وتذهب العداوة"، وقال: "ومن فضل الهدية مع إتباع السنّة أنّها تزيل حزازات النّفوس وتكسب المُهدي والمُهدَى إليه رنة في اللقاء والجلوس"[5]. تتجلى الهديـة فـي معانيهـا ومقاصـدها النّفسـية والاجتماعيـة فيمـا ورد عنـد الأصفهاني:"الهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفي الضغينة، وتركها يورث الوحشة ويدعو إلى القطيعة، والهدية تصير البعيد قريبا والعدو صديقا والبّغيض واليا والثقيل خفيفا، وقيل إنّها قرابة وصلة كالرحم والقرابة القريبة"[6].

ثانيا: <u>مفهوم الدبلوماسية</u>:

يرجع أصل كلمة دبلوماسية إلى اللغة اليونانية القديمة، فهي مشتقة من كلمة Diploma والتي تعني :الوثيقة الرسمية المطوية، والصادرة عن الرؤساء السياسيين للمدن التي كان يتكون منها المجتمع الإغريقي القديم[7]. و

---

[1] - ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب المحيط، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، ج15، ص40.

[2] - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني(ت816هـ/1413م)، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص215.

[3] - أبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامى المقدسي، المغنى، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو،دار عام الكتب، الرياض، ط3(1997م)، ج8، ص139

[4] - ابن قدامة، المصدر السابق،ج8، ص140.

[5] - أبي عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج16، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1(2006م)، ص161

[6]- الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل(ت502هـ/1108م)، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء البلغاء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط(1961م)م، ج2، ص424.

[7]- هايل عبد المولى طشطوش، مقدمة في العلاقات الدولية ، (د.ط.) ، جامعة اليرموك، الأردن، ط(2010م)، ص 212.

الدبلوماسية بموجب تعبير معاوية بن أبي سفيان في مجال تحديد العلاقات الدبلوماسية على أنّها "لو أنّ بيني وبين النّاس شعرة لما قطعتها إن أرخوها شدّدتها وإن شدوها أرخيتها " تتضمن هذه المقولة الشهيرة وصفا دقيقا للعلاقات التي تقوم بين البشر ومشبها الدبلوماسية بالشعره حيث تتميز بالدقة والمرونة والحرص على استمرار هذه العلاقات وعدم انقطاعها حتى ولو كانت معلقة على شعرة[8].

وعبر عن الدبلوماسية د .فاضل زكي على أنّها"علم وفن وتنظيم العلاقات الدولية التي يمارسها المبعوثين والممثلين الدبلوماسسين من خلال المفا وضات"[9]، والمفهوم الأكثر تداولا هو ذلك الذ ي يحددها بأنّها:" فن توجيه العلاقات الدولية والسياسية والخارجية للدول، والمفاوضات القانونية الدولية بين الأشخاص، وفن تمثيل الدول ورعاية مصالحها الوطنية في وقت السلم"[10]. كما تعني" المهمة التي يضطلع بها المبعوث الدبلوماسي كحلقة صل بين دولته والدولة المعتمد لديها"[11].

ثالثا: أغراض الهدايا الدبلوماسية:

لقد واجه العالم الإسلامي مشرقا ومغربا تحديات وتغيرات سلمية وحربية، مما نتج عنه اتساع الهوة بين الدول الضعيفة والقوية. وبدلا من استعمال القوة تحولت الدول إلى التحكم في العلاقات الدولية لتكريس عملية التعاون والتضامن ونشر الإسلام والسلام. ولتحقيق هذه المصلحة احتلت الهدية في العلاقات الدبلوماسية أهمية خاصة للتواصل بين الشعوب بواسطة الرسل بهدف توثيق الروابط السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية مع مختلف الشعوب وقتي السلم والحرب. وبناء على ذلك تنوعت الهدايا كما تنوعت أغراضها الدبلوماسية كما يلي:

1- **هدايا الاستنجاد ودعم الجهاد:**

---

[8] - محمد المجذوب، الدبلوماسية، نشأتها وتطورها وقواعدها في الحصانات والامتيازات الدولية بيروت،(2017م)، ص 25.

[9] - فاضل زكي محمد، الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق ، مطبعة شفيق ، ط 3 ،بغداد، (1973م) ، ص27.

[10] - سهيل حسين الفتلاوي ، الدبلوماسية الاسلامية ، دار الثقافة ، ط 1 عمان،(2006م)،ص15.

[11] - المرجع نفسه، ص15.

شكلت التحولات التي عبرت عن تغير في موازين القوى بتراجع المسلمين وانتصار النصارى في العالم الإسلامي، وفي هذه الظروف غالبا ما يستنجد الحاكم بالقوى الخارجية الإسلامية التي تتفق مع مصالحها في حماية الإسلام والمسلمين وبإمكانها مواجهة القوة الصليبية في المشرق وفي اسبانيا.

كما يمكن اعتبار الهدية من المساعدات المالية لجهود الإغاثة، ومن القرائن الكاشفة عن هذا الحال ذلك الصراع الشديد الذي كان في المشرق بين المسلمين والنصارى، وفي ظله تعتبر الحاجة إلى الدعم ضرورة ملحة فرضتها الظروف السياسية بالاستنجاد بالمغرب لتجاوز المحنة واستعطاف الخليفة الموحدي، حيث أرسل صلاح الدين الأيوبي وزيره ابن منقد إلى الخليفة الموحدي يعقوب المنصور في سنة 586ه/1190م . وبقي الوزير ينتظر الخليفة مدة سنة لانشغاله في غزواته في الأندلس. ولما وصل الخليفة إلى مراكش استقبل الوزير ابن منقد وقدم له هدية تمثلت في مصحفين كريمين بالخط المنسوب، ومائة درهم من دهن البلسان وعشرين رطل من العود، وستمائة مثقال من المسك والعنبر، وخمسين قوسا عربية بأوتارها، وعشرين من نتسابا هندية وعدد من السروج عدة ثقيلة[12]

وأوضح ابن منقذ للخليفة الموحدي الغرض من سفارته وعرض له طلب صلاح الدين الاستعانة بالبحرية المغربية لعرقلة المسيحيين الكفار في المغرب وعدم تمكينهم بإرسال المدد إلى إخوانهم في الشام، مما يمكن مسلمي الشرق من فك الحصار المضروب على عكا، مع بيان أهمية عكا بالنسبة للمسلمين[13]. وبسبب الظروف السياسية وخطر النصارى على الأندلس والمغرب لم يستجب الخليفة الموحدي لمطلب الحاكم الأيوبي صلاح الدين.

---

[12]- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن محمد المغربي (ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،(1992م)، ج6، ص331.

[13]- المقريزي،تقي الدين احمد (ت845هـ / 1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (1977م)، ج1، ص2019/ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج6، المطبعة الأميرية بالقاهرة، (1915م)م، ص530/ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي، دار المعارف، ط(1985م)، ص159.

كما قابل ابن منقذ عند عودته بهدايا من العوض في نفاسة الأشخاص والأثمان[14].

وبالنسبة لصد هجمات النصارى في اسبانيا فقد أرسل السلطان أبو عنان(752هـ-759هـ/1352م-1358م) سفارة سنة 752ه/1351م تحمل هدية الى يوسف الأول بغرناطة النصرية، وتتضمن هذه الهدية معونات لصالح الجهاد ضد النصارى وتشمل على الخيل ومهندات مهاميز[15].

لقد استخدمت هدايا الدعم الجهادي لتعزيز مبدأ المحافظة على الإسلام، ففي حالة الدولة الضعيفة التي لا يمكن لها مواجهة العدو يمكن أن تقيم تحالفا لردع الخطر، وذلك بتقديم هدايا حربية في إطار المصلحة المشتركة في القضاء على العدو.

2-هدايا الصلح :

الصلح مبادرة إسلامية تتحقق من خلالها أمن الدولة مع تجنب الضرر وتحقيق مصلحة المسلمين وإحلال السلم مكان الحرب وتسوية الخلافات القائمة بين الأطراف وتيسير حل لها، وتحققت هذه المبادرة في سنة 762ه/1360م حيث وجه السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني(760-789هـ/1358-1387م) إلى السلطان المريني أبي سالم سفارة بقيادة ابنه تاشفين(791-795هـ/1389-1393م). من أجل الاتفاق على المناطق الشرقية التي كانت سبب الصراع بين المرينين والزيانين[16]. وحمل الوفد الدبلوماسي معه هدايا الصلح، ومن نتائجها إطلاق سراح الأسرى من عبد الواد[17].

3-هدايا المكافاة:

---

[14] - ابتسام مرعي خلف الله، المرجع نفسه، ص162.

[15] - ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت نحو 776هـ/ 1374م)، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة مراجعة حسن محمود، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، د-ت، ص57.

[16] - مجهول(القرن 8ه/14م)، زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،(2011 م)، ج2 ، ص 133-134.

[17] - المصدر نفسه،ص 133-134.

إنّ التواصل العميق بين الدول في مجال السياسية تقتضي وجود تعاون للتشجيع والتحفيز على تأكيد الانتماء والتبعية إلى الأقوى، وتكون هنا الهدية وسيلة للمكافأة على انجازات الطرف التابع مثلما حدث مع الرستمين عندما شرع الأغالبة ببناء مدينة العباسية سنة 227ه / 842م بالقرب من تيهرت مما يهدد عاصمة الرستميين سياسيا واقتصاديا, قام الإمام افلح بن عبد الوهاب (208-258ه/823-872م) بهدمها وإحراقها ولما وصل الخبر إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206-232هـ/821-846م)بادر على الفور بإرسال هدية قيمة جدا تعبيرا عن فرحته بهذا الانجاز[18]. ويعتبر هذا السلوك معيار التكامل في المصالح، الأمر الذي تفعيل الهدية تجسيدا للتواصل الايجابي بغية تحقيق الاندماج بين الأطراف.

وفي هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) إلى محمد بن خزر[19] فيما "كافأه من الهدايا النّفيسة من الملابس والكسي المرتفعة. وكان الذي اختصه به في تطريزه لما اصطنعه من خاصّ لهديّته هذه من الملابس، في طرازه الخاصّ، باسم محمد بن خزر، أعظم قدرا من ذلك، إذ كان شيئا لم يتقدم لملك قبله إلى ولي من أوليائه"[20]. وتمثلت هدية الخليفة نفسه إلى موسى بن أبي العافية في "خمس وعشرون قطعة من البز الطرازيّ الخاصيّ المرتفع العجيب الصنعة، العراقي العبيدي من ذلك خمسة"[21]. تعبر هذه الهدايا عن النّوايا الحسنة من الطرفين الأندلسي والمغربي، ومسلك جاد للتواصل دون التّظاهر بذلك وقصد الحصول على مصلحة سياسية ودفع العدوان.

---

[18] - الحريري, محمد, مقدمات البناء السياسي في المغرب العربي,الدولة الرستمية (160 هـ- 296 هـ) مكتبة الشباب، القاهرة،(1979م)،ص220.

[19] - محمد بن الخير بن خزر الزناتي من دعاة بني أمية الأندلسية في الشمال الإفريقي قد حارب بالاشتراك مع جعفر ويحي ابن علي بن حمدون ضد زيري الصنهاجي. ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال ، ج.س. كولان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2009م)،ج2، ص 360 ،361 / ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت نحو 776هـ/ 1374م)، كتاب أعمال الأعلام، حققه ونشره إ. ليفي بروفنسال بعنوان تاريخ إسبانيا الإسلامية ، دار المكشوف، بيروت، ط(1956م).ج 2، ص 359.

[20] - ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت469هـ/1076م)، المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، ط (1979م)،ج5، ص 268.

[21] - المصدر نفسه،ج5، ص 351.

ولقد جمعت هدية المكافأة بين الحكام وبين رؤساء البربر، وقلصت دائرة التنافر بين الطرفين. ومن نماذج الهدايا التي يهادي بها خلفاء بني أمية رؤسائهم البربر ووجوههم المستئمنين فخلع عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961م) على" حميد بن يصل القرشي السليماني من عمائم الشرب المذهبة وصلته لإبراهيم بن عيسى بثلاثة عمائم خز تفاحية وخضراء وفيروزية، وأهداه لحسن بن أحمد بن عيسى بعمامتي خز سمائية وحمراء ولكل من علي بن أحمد وخزر بن لقمان وأيوب بن أبي الحسين وحجاج بن خلوق بعمامتي خز"[22].

وتبعا لما سبق، تعتبر الهدية ذات أهمية في إدارة العلاقات السياسية، وفتح مجال للاعتماد المتبادل بين الأطراف، حيث لا يمكن لأي طرف أن يعيش بمعزل عن الآخر، وكل منهما يعزز الآخر ويقوي من شأنه. وتصبح بذلك هدية المكافأة المصدر الأساسي للقوة السياسية، وحلقة كافية للتعاون والاشتراك والخضوع.

4-<u>هدايا التعزية</u>:

العزاء هو الحض على الصبر عند البلاء، وتسلية أهل الميت، وحملهم على الصبر بوعد الأجر والدعاء للميت والمصاب. والتعزية بالميت تجمع ثلاثة أشياء: أحدها تهوين المصيبة على المُعزّى، وتسليته منها، وتحضيضه على التزام الصبر، واحتساب الأجر، والرضى بقدر الله، والتسليم لأمره. الثاني: الدعاء له بأن يعوضه الله من مصابه جزيل الثواب، ويحسن له العقبى والمآب. والثالث الدعاء للميت والترحم عليه، والاستغفار له[23].

وفي إطار العلاقات السياسية كانت التّعزية من المهام الجوهرية في العلاقات الدبلوماسية، وذلك بإرسال البعثات لتقديم التعازي مع إصباغ هذه المهمة بهدايا تهدف إلى تحقيق التّواصل العلائقي ومن صور المجاملة

[22] - ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت469هـ/1076م)، المقتبس، تحقيق محمود علي المكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية(د.ت)، السفر الثاني.، ص132

[23]- أبو الوليد بن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق سعيد إعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط2(1988م)، ص212/ انتصار سعيد أحمد ناصر، أحكام التعازي في الفقه الإسلامي، أطروحة ماجستير في الفقه والتشريع، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين،(2012م)، ص8.

الإنسانية والأخلاقية، وهو مطلب حدث مثلا بعد وفاة السلطان الحفصي المستنصر، حيث أرسل السلطان المريني سنة 677ه/1278م سفارة مع هدية لتعزية السلطان الحفصي أبو زكريا الملقب بالواثق للتعزية[24]، وفي سنة 745ه/1345م أرسل الملك الناصر أبي الفدا إسماعيل الملقب بالملك الصالح سفارة في مقدمتها الأميرة المرينية الحرة مريم أخت السلطان أبي الحسن لتعزية الملك المملوكي في والده الناصر محمد[25]، وحملت الأميرة معها هدية كبيرة تمثلت في الخيل والذهب والقماش[26]. وفي المنحى ذاته أرسل السلطان المريني أبو الحسن بعد وفاة منسا موسى ملك السودان الغربي سنة 741ه/1340م، بهدية قيمة لتعزية خلفه الملك منسا مغا[27]. والغرض منها التعزية واستمرارية العلاقات.

ولم تكن الهدايا عملا منعزلا عن التعاطف الإنساني فهي وسيلة لتبادر المشاعر والمواساة والمساندة، كما أدت إلى تعزيز امتداد العلاقات بشكل متزايد، ولتحسين مصير الدول وإزالة التوترات والضغوط، وتفادي التأثيرات المستقبلية بعد انتقال الحكم إلى السلطان الجديد.

5-هدايا التهنئة:

ارتبطت التهنئة بالمناسبات لتأكيد المودة، ونتيجة حتمية لتنمية العلاقات الخارجية والمشاركة الشعبية في الفرحة، كما يمكن اعتبارها يقظة إنسانية من أجل حماية المصالح المشتركة. وفي هذا الشأن أرسل السلطان أبو العباس أحمد الثاني بسفارة إلى السلطان الظاهر برقوق يهنئه فيها بمناسبة عودته للحكم بعد أن تم خلعه عام 791ه/1389م، وعين على وفد السفارة وزيره

[24] - عبد الهادي التازي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم-عهد بني مرين والوطاسيين-د.د.ط-(1988م)،ج7، ص24.

[25]- الشاهري مزاحم علاوي، الحضارة الإسلامية في المغرب (العصر المريني)، مركز الكتاب الأكاديمي، المغرب، د.ت،ص 88.

[26]- ا المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت(1988م). ج6، ص126-127

[27] - ابن خلدون، العبر، ج7، ص553

محمد بن أبي هلال مصحوبا بهدية فاخرة امتازت بكثرة ما فيها من الخيول، عنوانا للمحبة والصداقة التي بينهم[28].

وعندما حقق السلطان أبي الحسن بن أبي سعيد المريني(737هـ-749هـ/1337م-1349م) في المغرب الأوسط النّصر وتمكن من إخضاع دولة بني زيان عام 737ه/1337م، أوفد الملك السوداني منسا موسى إلى بلاد المغرب سفارة محملة بالهدايا القيمة، وقد استقبلت تلك السفارة من قبل السلطان أبي الحسن المريني أفضل استقبال:" وأحسن مثواهم ومنقلبهم ونزع إلى مذهبه في الفخر فانتخب طرف من متاع المغرب وماعون وشيا من ذخيرة داره واسنى الهدية ..."[29]. وكان منسا موسى حريصا على أن يظهر كل معاني حسن الجوار والاحترام للمرينيين رغبة منه في تمتين العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدولتين.

1- <u>هدايا الصداقة وتوثيق العلاقات</u>:

الصداقة علاقة اجتماعية خاصة تقوم على نوع من التجانس الأخلاقي والشعوري بين الأصدقاء، ومن فضائل الصداقة" الحلم ، الجود، الصبر، الوفاء، المشاركة، العفة، حسن الدفاع وتعلم العلم"[30]. والثابت أنّ من شروط الصداقة التّكافؤ في العلاقات، وفي الإطار السياسي فإنّها التعبير الفعلي لوجود علاقات سياسية دبلوماسية بين الدول تكون بتبادل الهدايا كمؤشر لتمتين العلاقات والرضا والتوافق من الأطراف ومن المساعي الحميدة في الوساطة.

ومن الهدايا التي تساهم في إطالة الصداقة، ما اشتهرت به مملكة كوكو[31] إحدى ممالك السودان التي وثقت علاقتها بأئمة الدولة الرستمية

---

[28] - العروس محمد المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص543

[29]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص353/ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى(الدولة المرينية)، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،(1954م)، ج3، ص151-152.

[30] - حامد أحمد الدباس، فلسفة الحب والأخلاق عند ابن حزم، ط1(1993م)، دار الإبداع للنشر والتوزيع، عمان، ص193

[31] - كوكو: تقع في شرق نيل غانا الذي ينبع من بحيرة كوري (تشاد) ، و هي مملكة تبعد عن تيهرت مسافة ثلاثة أشهر سيرا تقريبا. مؤلف مجهول, كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق،سعد زغلول عبد الحميد, دار الشؤون الثقافية(د.ت)، ص225.

بتيهرت، حيث قام لها محمد بن عرفة و قد أعجب الملك بعظمة هذا السفير الرستمي الذي جاء يحمل هدايا أفلح بن عبد الوهاب.و قد علق ابن الصغير عن إعجاب الملك السفير، فقال:"وعجب ملك السودان ما أراه من هيبته و جماله و فروسيته إذ ركب الخيل فهز بيده (محمد بن عرفة) و قال له ملك السودان كلمة بالسودانية معناها أنت حسن الوجه و الهيبة والفعال[32]. ومن نتائج هذه الهدية إدامة العلاقات الطيبة والحسنة بين الأطراف.

ولا غرو إذا قلنا أنّ منتجات دار الطراز بقرطبة مما يهادى به إلى الشخصيات الهامة من العدوة المغربية أمثال موسى بن أبي العافية[33] الذي خلع عليه الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-331هـ/912-943م) هدية تتمثل في: "قطع الخزّ العبيدي الخاصي من كسوة الخليفة عشرون شقة، ومن الطرازية الخلافية خمس قطع، العمائم عشر ثياب الخزّ المختلفة الأجناس في صناعات طراز العمامة لكسوة رجاله مائة ثوب، الشقاق الطرازية المصبوغة الثياب خمس عشرة شقة، شقق الصوف الطرازية المصبوغة، صبغ شقاق الكتّان الخاصة الدقاق لكسوته عشرة شقاق، وعشرة أردية وأربعون ملحفة، شقاق الكتّان المتوسطة لكسوة رجاله أربعون شقة، ومن أنواع الفرش من بسط الصوف الكوامل المختلفة الأجناس سبع وثلاثون... ومن وسائد الصوف صناعة الواسطي ستون وسادا، قبة آدم من ثلاثين بنيقة بجميع آلاتها وإزارها وخيمة مستراحها، ولدان وبساطان ... وفراش ديباج أرضه موشية مطرزتان بخزّ ريحاني، ومخدتان مفضضتان مختمتان بطائنها خزّ طرازي رجواني وفسطاطان جديدان من ثلاثين بنيقة بجميع آلاتها." (34)

---

[32]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد الناصر و إبراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلية،(1986م)، ص31،

[33] - موسى بن أبي العافية(313- 341هـ/925-952م): كان متمسكا بدعوة العبيديين من الشيعة ، وبانقراض دولة آل إدريس من فاس، تداول المغرب الأقصى العبيد يون ، وصفا الملك لموسى بن أبي العافية وقام بطرد الأدارسة. ودخل المغرب الأقْصى والأوسط في ملكه، فخاطبه الناصر بدعوته على المنابر . وبذلك نقض طاعة الشيعة وبث دعوة الأمويين بأغمات. علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط(1973م)، ص83، 84.

[34] - ابن حيان، المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا،ج5، ص 390.

وبالمثل، قدم السلطان المريني الناصر إلى محمد بن قلاوون المملوكي هدية اشتملت على الأحجار الكريمة من الياقوت والزبرجد والزمرد والجوهر، ومن الثياب الحلل المرموقة المذهبة ومن السيوف والسروج الكثيرة، وبلغت الخيول ثلاثمائة حصان[35].

وفي المنحى ذاته، أرسل السلطان الزياني يغمراسن سفارة إلى السلطان النصري بالاندلس محملة بالهدايا تمثلت في تحف ونفائس من بينها ثلاثون من عتاق الخيل، وثياب من عمل الصوف الجيد الرفيع، وفي المقابل قام السلطان النصري بعث إلى السلطان الزياني يغمراسن نظير ذلك مبلغ عشرة آلاف دينار صحبة مروان التجاني كفء ذلك عشرة آلاف دينار، لتمتين العلاقات الحميمية بين الدولتين[36]. كما أتحف ماري جاطه بن منسا مغا بن منسا موسى سنة 762ه /1360م ملك المغرب لعهده السلطان ابا سالم با السلطان أبي الحسن بالهدية وكان فيها الحيوان العظيم الهيكل المستغرب بارض المغرب المعروف بالزرافة[37].

لا يمكننا انكار الربط الأخلاقي والانساني الذي تفصح عنه الهدية لتشجيع التعاون، وهي مرغوبة بشكل عملي ومتزايد في تمتين الصداقة، وهويتها مرشدة لقيمة المهدى إليه ومكانته السياسية وتفضيله، كما توحي بالإحترام والتقدير المتبادل بين الدول على سبيل المصالح المشتركة.

2- <u>هدايا البيعة</u>:

البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنّه يسلم له النّظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، و يطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط و المكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير و

---

[35] - ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط(1981م). ص552-553.

[36]- عبده بن محمد عواجي القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية،(1998م)، ص111.

[37] - الزركشي، أبي عبد الله محمد بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ص57./ المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص381/ابن خلدون، العبر، ج6، ص267.

عقدوا عهده جعلوا أيديهم في يديه تأكيداً للعهد[38]. ولما كانت البيعة الموافقة على اختيار الخليفة الجديد فإنّ هدايا البيعة هي الإقرار والاعتراف بوجود دولة أو حاكم معترف به، وعلى أساسه يكون الاتفاق بإرسال البعثات والهدايا لإقامة علاقات دبلوماسية ثانية. وعلى هذه الأساس بعث أمير زناتة محمد بن خزر في آخر سنة(318هـ/930م) بكتاب يعلن فيه بيعة الخليفة عبد الرحمن النّاصر، وأرفقه بهدية ضمت "عشرة نُجُب مخصيّة عجيبة الخلق متَخيّرة في جنسها، بسروجها وأرسانها[39] وأزمّتها وأجلالها وأُرْجُواناتها وقرابيسها[40]، مُعلَّقا عليها عشر درقات من نفائس درق اللمط[41]، وعشرين ناقة، حوامل عشارا وغيرها، معها فحل لها جليل الخلقة البِنْية، معها راعيها عبد أسود ماهر برعي الإبل بصير بأدواتها، وثمانية عشر فرسا من جياد الخيل العربية، منها فرس أصفر أسود العرف والذيل مهضوم، وفرس أشقر خماسي أغر مخضب الأربع، وفرس أشهب خماسي بأذنيه وطرف ذنبه وردة، وأربعة من عتاق الخيل، قيود للعيون ....؛ فلم يكن لها في جميع خيل ركابه على كثرتها أشباه لها، آثرها على جميع الهدية"[42].

إنّ القاعدة الأساسية في العلاقات الدولية بين الدول المجاورة القوة العسكرية والدعم السياسي للتخلص من العدو والتهديدات المجاورة في الموقع الجغرافي. والدفاع عن الدولة يستدعي إستراتيجية جديدة لضمان الاستقرار ، وهذا الحال مشابه لحال المرينيين في ظل الصراع القائم بينهم وبين الموحدين حيث بحث المرينيون عن حليف لهم في المغرب الأدنى وهم الحفصيون. وهذا ما دفع أبو يوسف يعقوب المريني بإرسال وفد كبير مع هدايا ثمينة

---

[38]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/1406م)، المقدمة، دار الفكر، ط1، بيروت، (2003م)، ص370.

39- أرسنة، جمع الرسن، وهي ما كان من زمام على الأنف. الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817ه): القاموس المحيط، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6(1998م) ، ص1200.

40- قرابيس، جمع قربوس، وهي حنو السرج. الفيروز أبادي، المصدر نفسه، ص565.

41- حيوان اللمط وهو " دابة دون البقر لها قرون دقاق حادة لذكرانها وإنّاثها وكلما كبر الواحد طال قرنه حتى يكون أربعة أشبار وأجود الدرق وأغلاها ثمنا ما صنع من جلود العوانق منها وهي التي طال قرناها لكبر سنها. البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز(ت487 هـ/1094م)،المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2003م) ، ص171 .

[42]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص ص267، 278.

لمبايعة المستنصر الحفصي وطلب منه إعانته ومساعدته في حروبه ضد الموحدين[43].

وبالموازاة، كانت العلاقات المرينية الحفصية جيدة، سادها الود والمصاهرة، ويعود أول اتصال بين الطرفين إلى بيعة الأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني للسلطان الحفصي أبي زكرياء صاحب إفريقية وشرق المغرب الأوسط[44]، ولعل ما يؤكد العلاقات الودية إرسال السلطان الحفصي المستنصر الهدايا لأبي يوسف يعقوب السلطان المريني على إثر فتحه مراكش وإسقاطه الحكم الموحدي سنة 668هـ / 1269م، وهذه السنة حافظ عليها خلفه الواثق حيث أرسل بالهدايا للسلطان المريني يعقوب سنة(677هـ / 1278م)، وتضم الهدية من أصناف الخيل والسلاج والثياب الرفيعة ما اختاره واستحسنه، وبعث معه من وجوه كاتبه ووزيره أبو عبد الله محمد بن الكناني، واستطار هذا الرسول أن يقنع المرنيين بذكر المستنصر على منبر مراكش[45].

كانت البيعة مقصدا مهما في تحديث وتجديد العلاقات بين المغرب الأوسط والعالم الإسلامي، والهدية تكبح أي شعور عدائي بين أفراد السلطة الحاكمة، ومع هذا فإنّ الهدية مقياس حميد في التأثير بشكل قابل لتوطين العلاقات على المستويين القريب والبعيد، فالقريب بتقديم البيعة والخضوع، وهو جوهر الاعتراف بالأخر على الصعيد السياسي. أما المستوى البعيد فهو لتمتين المصالح وتحقيق التواصل العلائقي.

3- هدايا الاعتذار:

تعتبر الهدية مبدأ للإنصاف وتحقيق المنطق في تنظيم العلاقات وتقرير المصير واحترام العلاقات مع المسلمين، وغرض الهدية هنا الاعتذار كمسعى لاسترجاع العلاقات بين الأطراف، فبعد أن تبين لغرناطة عقم سياسة التحالف مع قشتالة وأراغون ضد دولة بني مرين، عزم محمد الفقيه الرحلة بنفسه سنة 692ه/1292م للقاء السلطان المريني يوسف بن يعقوب وتأكيد

[43] - العروس محمد المطوي، المرجع السابق، ص187

[44]- الناصري، الاستقصا،ج 3، ص 12. وجوليان (شارل أندري)، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس – الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس،(1978م)، ج2، ص 180.

[45]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج7، ص23.

المودة والاعتذار لأنّه خالف تحالفه مع المرينيين. وقدم الوفد الغرناطي هدايا ثمينة أهمها مصحف عثمان بن عفان، وعنها يقول ابن خلدون" .. وقدم بين يديه هدية سنية أتحف بها السلطان، كان من أحفلها وأحسنها موقعا لديه فيما زعموا المصحف الكبير، أحد مصاحف عثمان بن عفان أحد الأربعة المنبعثة إلى الأفاق المختص هذا منها بالمغرب... كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة..."[46]

4- هدايا لرعاية الحجاج المغاربة:

نظرا لعدم تخلي الحكام عن حماية الحجاج خارج حدود الدولة في إطار حماية الإسلام وتطبيق قواعده ونعني بذلك طريق الحج. وثق المغاربة علاقاتهم مع المماليك للحصول على امتيازات بخصوص حماية الحجاج المغاربة وتقديم التسهيلات لهم. وهنا يكون وقع الهدية بنوعها وفخامتها دور في تحقيق الغرض. ففي إطار حماية ركب الحجاج المغاربة وطد المرينيون في عهد السلطان يوسف أبي يعقوب(ت706ه/1307م) العلاقات مع المماليك والناصر بن قلاوون(ت741ه/1341م)، وأرسل السلطان المريني سنة 703ه/1303م بهدية إلى الناصر بن قلاوون تضم" أربعمائة جواد من عتاق الخيل بجهازها، وغير ذلك من النفائس والذخائر"[47] .

وبعث معهم المصحف الشريف وأوقفه على الحرم المكي[48]، ووصف ابن مرزوق المصحف عندما رآه في الحرم المكي قائلا:" وقد رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعثه المولى أبو يعقوب بخط ابن حسن، وكان وجهه محلى بالذهب المنظم بالجواهر النفيسة، وفنتزع ما عليه، وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتسابا، وقد فرات فيه أعوما"[49].

وقبل السلطان الهدية بقبول حسن، جبرا لمهديها[50]، وأكرم السلطان قلاوون حجاج المغرب القاصدين بيت الله الحرام ب" أبلغ وجوه التكرمة،

---

[46] - ابن خلدون، ج7، ص286

[47] - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص387.

[48] - ابن مرزوق، المسند، ص476

[49] - ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص476

[50] - الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب(ت779هـ/1377م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، حوادث(708-678هـ/1279-1308م)، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، مصر،(1976م)، ج1، ص263.

وبعث معهم أميرا لإكرامهم، وقراهم في طريقهم حتى قضو فرضهم"[51]. ووصف ابن الوردي الهدية بقوله:" ..فيما وصل من المغرب كثير ...هدية عظيمة خيل وبغال نحو خمسمائة بسروج ولجم ملبسة بالذهب المصري"[52]. وتعتبر هذه العلاقات بين دولة المماليك والمرينيين من بين الصلات التي تؤمن مسالك الحج بين مصر والمغرب.

ولتوطيد العلاقات وحماية ركب الحجاج المغاربة والتوصية بهم أرسل السلطان ابو الحسن المريني سنة 738ه/1338م مصحفا بخط يده وقفا خالصا على المسجد النبوي الشريف، بالإضافة إلى هدية كانت حديث المجالس مشرقا ومغربا، كان مقدارها 100.000 دينار مصري جملتها البغال والجمال[53]. ولما عاد ركب الحجاج المغارب من الأراضي المقدسة أرسل معهم الملك الناصر هدايا قيمة تضم ثياب من الحرير والقماش صنعت في الإسكندرية، وفساطيط غريبة الشكل والصنعة مصنوعة بالشام، وصنوان مربع الشكل مصنوع بالحرير وعشرة جياد بسروج لجم ملوكية مصنوعة من الذهب والفضة المرصعة باللالئ، كما أرسل له شرفاء مكة كسوة الكعبة والتي اتخذها السلطان المريني لباس لصلاة الجمعة يتبرك بها[54] .

ومن ناحية أخرى، قام السلطان أبو فارس عبد العزيز بإرسال قوافل الحجاج بصحبة مبعوث السلطان الأشرف برسباي، تضمنت على ركب ألف بعير، وذلك عام (837هـ/ 1433م) [55] لضمان أمنهم وسلامتهم ولتسهيل مرورهم من البلاد المصرية وتوفير مستلزمات الراحة لهم . والملاحظة الجديرة بالتسجيل أن السلطان أبو فارس عبد العزيز تمتع بفضل تبرعاته بسمعة طيبة وذاع صيته في العالم الإسلامي وذكر اسمه في خطبة الوقوف

[51] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص904.
[52]- ابن الوردي، زين الدين عمر(ت749ه/1348م)، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف،(1969م)، ج2، ص253
[53] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص708.
[54] - المصدر نفسه، ج7، ص709
[55] - السراج، محمد بن محمد (ت1149هـ/1736م) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس،(1970م)، ج1 ، ص1072 .

في جبل عرفات عام (825هـ/ 1422م) من بين أسماء كبار ملوك الإسلام، وقد شعر الحجيج الأفارقة بالاعتزاز بهذا الشرف الذي نال سلطانهم[56].

وعليه، يعتبر الحج من مسؤوليات السلطة في تأمين الطريق للحجاج من المغرب إلى المشرق، وبسبب تفاقم عملية الخطف وقطاع الطرق، قام حكام المغرب الأوسط بتسهيل مهمة الحجاج عن طريق الزيادة في تنويع الهدايا إلى حكام مصر ، والتي كان لها النّفع الكبير في توفير الخدمات للحجاج وتامين المسالك الحجية.

5-هدايا التحقير:

تهتم الدبلوماسية بتنظيم العلاقات بكل أنواعها، وتكون الهدية وسيلة مهمة في التمثيل الديبلوماسي، وفي بعض الحالات تكون الهدية وسيلة تحول دون تحقيق التعاون لوجود خلاف سياسي. ويكون وقع الهدية هنا سلبي باعتبارها لا تليق بالسلطان وتقصير بحق المهدى إليه.

وعليه تضعف قيمة الهدية وتتحول أغراضها إلى الإهانة والتحقير من قيمة الطرف الثاني؛ فعلى سبيل الذكر بعث السلطان المملوكي الناصر سنة 706ه/1307م هدية إلى السلطان الزياني لا تليق بمقامه وتتكون من كوزين دهن البلسان المستعمل عند المماليك، وخمسة مماليك من الترك بخمسة أقواس فرد عليه هذا الأخير بخطاب شديد اللّهجة فلم يقبل الهدية وردها إلى السلطان الناصر وذكر فيها : وأما الهدية فردت عليك: وأما دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف إلا الزيت، وحسبنا به دهنا، وأما المماليك الرماة فقد افتتحنا بهم اشبيلية وصرفناهم إليك لتفتتح بهم بغداد والسلام"[57].

6-هدايا التواصل التجاري:

يتركز العمل الدبلوماسي على تطوير العلاقات التجارية بين دولتين وتتسع التجارة كلما اتسعت علاقاتهما الدبلوماسية[58]. ومن أجل الحصول على المواد الأولية في الاقتصاد نشأت علاقات تجارية قوية بين دول المغرب الأوسط ودول المشرق الإسلامي؛ حيث كان التجار المغاربة يصدرون لدولة

[56]- برنشفيك روبار :تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ،ترجمة حمادي الساحلي ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، (1988م)،ج2،ص247.

[57] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص470-471

[58] - سهيل حسين الفتلاوي، الديبلوماسية الإسلامية دار الثقافة، عمان، ط(2005م)، ص168.

المماليك في مصر الخيول المغربية لشهرتها إما بالهدايا او بالشراء . ولقد نوه ابن خلدون لأهميتها بقوله "تحفة تطرف بها ملوك الشرق إلا الجياد العرب"[59]. وعرفت هذه الخيول بصلابتها وصبرها وقدرتها على تحمل المشقة، فقام الملك الظاهر برقوق[60] لما أبطأ عليه وصول الخيل من المغرب بإرسال مملوكه قطلوبغا[61] لينتقي له ما يشاء منها بالشراء، وأمره بالتوجه إلى سلطان تونس وسلطان عبد الواد بتلمسان وبني مرين في فاس وحمله لكل واحد منهم هدية خفيفة من القماش والطيب والقسي، فاشترى ما استطاع شراءه ثم عاد لبلاده فأرسل السلطان عبد العزيز رسولاً للسلطان الظاهر برقوق ومعه هدية السلطان، وكانت تشتمل على ثلاثين من الجياد مغشاة ببراقع الثياب من غير مراكب وكلها أنيق في صنعته مستطرف في نوعه ،وجلس السلطان يوم عرضها جلوساً فخماً في إيوانه، وبعد أن سلم الهدية للسلطان الظاهر خرج ومن معه للحج فعاملهم السلطان في غاية الكرم والجود وبعد عودتهم من الحج" رجعوا إلى ديارهم وشيعهم من بر السلطان وإحسانه ما ملأ حقائبهم وأسنى ذخيرتهم[62].

وفي كثير من الأحيان يعلن السلطان الأشرف برسباي للسلطان الحفصي عبد العزيز حاجة سلطنته المستمرة للخيول المغربية. ففي عام (837هـ / 1433م) قدم مبعوثه جنيد- أحد أمراء أخورية- إلى السلطان أبي فارس عبد العزيز وعلى يده كتاب السلطان بمنع التجار من حمل الثياب المغربية المحشاة بالحرير من ملابس النساء وأن يلزمهم بقود الخيول بدل من ذلك . ويضيف المقريزي بأنّ السلطان عبد العزيز قد أجاب عن الكتاب، وبعث بهدية :"هي ثلاثون فرساً، ومنها خمسة مسرجة ملجمة، ونحو مائتين

---

[59] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص510 .

[60]- الظاهر برقوق : أبو سعيد برقوق بن انص العثماني ،نسبة الى مشتريه عثمان بن مسافر ،وسمي برقوق لجحوظ في عينيه ،هو أول من بدأ حكم المماليك الجراكسة بمصر ،توفي عام 801هـ/1398م . الشوكاني محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ،دار المعرفة ،بيروت ،(د ،ت) ،ج1 ،ص162 .

[61]- قطلوبغا :بن عبد الله الخليلي ،نائب الإسكندرية وليها في الدولة المؤيدية شيخ ،توفي عام 785هـ /1383م . ابن ثغر بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ج2،(1984م) ،ج2 ،ص546 .

[62] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص511.

وخمسين بعيراً"[63] ، وهذه الهدية إنما هو تعبيرا عن استعداده لتزويده بما يحتاج إليه من الخيول المغربية ولتقوية أواصر العلاقة بين الجانبين

لقد كانت الخيول من أساسيات النشاط التجاري في المشرق الإسلامي، ولا غنى عنها خصوصا إذا لم تتوفر في أراضيها، فقد كان السلطان الأشرف برسباي يستشير في كثير من الأحيان السلطان الحفصي عبد العزيز في أمر الخيول ويعلن له عن حاجة سلطنته المستمرة للخيول المغربية ففي عام (837هـ / 1433م) أرسل السلطان المملوكي إلى سلاطين المغرب الثلاث رسولا تركيا هو قطلوبغا محملا بهدايا تتمثل في القماش والطيب، وعاد بهدايا من سلاطين الدول الثلاث سنة 799ه/1398م، وتضمنت هدية السلطان المريني على " خمسة وثلاثين من عتاق الخيل بالسروج واللجم الذهبية، والسيوف المحلاة، وخمسة وثلاثين حملا من أقمشة الحرير والكتان والصوف والجلد المنتقاة من أحسن هذه الأصناف"[64]. أما السلطان الزياني أبي حمو الثاني" الجياد بمراكبها"[65]. كما أرسل السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز" ثلاثين من الجياد مغشاة ببراقع الثياب"[66].

وبذلك أترث العوامل الاقتصادية في العلاقات الدولية بين الدويلات المغرب الأوسط والمشرق الإسلامي، وتمثلت في المساعدات التي تقدمها دويلات المغرب الأوسط في مجال الحرب وتقديم أحسن الجياد. وتستعمل هذه المساعدات كوسيلة للتأثير على الطرف الآخر في حماية الطريق الحجاج أيضا

لقد عرفت بلاد المغرب علاقات قوية مع مالي وامتازت بتبادل السفارات وحسن الجوار بين الدولتين احترمت كل واحدة منها سيادة الأخرى على أراضيها وتبادل الأطراف الهدايا لتأمين طرق التجارة وكبح جماح الأعراب[67].

---

[63] - المقريزي،المصدر السابق، ج7 ، ص270.
[64] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص714.
[65] - المصدر نفسه، ص711
[66] - المصدر نفسه، ج7، ص714.
[67] - نيكولا زيادة، بداية الحكم المغربي في السودان، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر. ص51

خاتمة:

إنّ الممارسة الفعلية في التمثيل الدبلوماسي بين المغرب الأوسط والعالم الإسلامي تجسد في وقع الهدايا من حيث الشكل والنوّع والغرض، وساهمت في تعزيز روح الفهم المشترك والتّعاطف لضرورة التّعاون والتواصل بين الدول. والهدية حجة لفصل كل القيود والتوتر وتعمل على صنع السياسة الخارجية.

وخضعت المعاملات الدبلوماسية بين الأطراف لمبدأ المقابلة بالمثل من خلال الهدايا. باعتبارها خيار ديبلوماسي قادر على التعبير والتغيير، وسلوك يكفل ويكرس خدمة مصلحة المسلمين كالمحافظة على أمن الحجاج، والصلح، وتوطين العلاقات السياسية وتقريب المسافات بين الأعداء. والتعاون في العملية الحربية والجهادية والسياسية والتجارية.

كما خلقت الهدية تنويع السلوك البشري اتجاه الأخر، مما يدعم روح التعاون والتكامل والتخاطب بين الحكام ويدعم سيادتها في المجال الجغرافي، ومن دونها لا يمكن تحقيق هذه الأهداف لأنّها وسيلة للاستجابة الفعالة ودستور عملي وإنساني في المعاملات بين الدول ذات السيادة في العصر الوسيط.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

– ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط(1973م).

– ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت نحو 776هـ/ 1374م)،، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة مراجعة حسن محمود، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، د-ت.

– ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت نحو 776هـ/ 1374م)، كتاب أعمال الأعلام، حققه ونشره إ. ليفي بروفنسال بعنوان تاريخ إسبانيا الإسلامية ، دار المكشوف، بيروت، ط(1956م).ج 2.

– ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد الناصر و ابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلية،(1986م).
– ابن الوردي، زين الدين عمر(ت749ه/1348م)، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف،(1969م)، ج2، ص253
– ابن ثغر بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ج2،(1984م) ،ج2.
– ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت469هـ/1076م)، المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، ط (1979م)،ج5.
– ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت469هـ/1076م)، المقتبس، تحقيق محمود علي المكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية(د.ت)، السفر الثاني.
– ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن محمد المغربي (ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،(1992م).
– ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/1406م)، المقدمة، دار الفكر، ط1، بيروت، (2003م.
– ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال ، ج.س. كولان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2009م)،ج2.
– ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط(1981م).
– ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب المحيط، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، ج15.
– أبو الوليد بن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق سعيد اعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط2(1988م).

– أبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامى المقدسي، المغنى، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو،دار عام الكتب، الرياض، ط3(1997م)، ج8.
– أبي عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج16، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1(2006م).
– البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز(ت487 هـ/1094م)،المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2003م) .
– الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب(ت779هـ/1377م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، حوادث(708-678هـ/1279-1308م)، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، مصر،(1976م).
– الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل(ت502هـ/1108م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط(1961م)م، ج2.
– الزركشي، أبي عبد الله محمد بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس.
– السراج، محمد بن محمد (ت1149هـ/1736م) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس،(1970م)، ج1 .
– الشوكاني محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ،دار المعرفة،بيروت،(د،ت)،ج1.
– علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني(ت816هـ/1413م)، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
– الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817ه): القاموس المحيط، أشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6(1998م) .
– القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج6، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1915م

– مجهول(القرن 8ه/14م)، زهر البستان في دولة بني زيان، ج2 ، تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،(2011 م).
– المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت(1988م).
– المقريزي،تقي الدين احمد (ت845هـ / 1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت (1977م) .
– مؤلف مجهول, كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار, تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد, دار الشؤون الثقافية(د.ت).

المراجع:

– ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف، ط(1985م).
– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى(الدولة المرينية)، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،(1954م).
– انتصار سعيد أحمد ناصر، أحكام التعازي في الفقه الاسلامي، أطروحة ماجستير في الفقه والتشريع، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين،(2012م) .
– برنشفيك روبار ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، (1988م)
– حامد أحمد الدباس، فلسفة الحب والأخلاق عند ابن حزم، ط1(1993م)، دار الإبداع للنشر والتوزيع، عمان.
– الحريري, محمد, مقدمات البناء السياسي في المغرب العربي,الدولة الرستمية (160 هـ-296 هـ) مكتبة الشباب، القاهرة،(1979م)،
– سهيل حسين الفتلاوي، الدبلوماسية الإسلامية، دار الثقافة، ط 1 عمان،(2006م).
– سهيل حسين الفتلاوي، الديبلوماسية الإسلامية دار الثقافة، عمان، ط(2005م).

– الشاهري مزاحم علاوي، الحضارة الإسلامية في المغرب (العصر المريني)، مركز الكتاب الأكاديمي، المغرب، د.ت.
– عبد الهادي التازي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم-معهد بني مرين والوطاسيين-د.د.ط-(1988م)،ج7.
– عبده بن محمد عواجي القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية،(1998م).
– العروس محمد المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،(1986م).
– فاضل زكي محمد، الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، مطبعة شفيق، ط3 ،بغداد، (1973م).
– محمد المجذوب، الدبلوماسية، نشأتها وتطورها وقواعدها في الحصانات والامتيازات الدولية بيروت،(2017م).
– نيكولا زيادة، بداية الحكم المغربي في السودان، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر.
– هايل عبد المولى طشطوش، مقدمة في العلاقات الدولية(د.ط.) ، جامعة اليرموك، الأردن، ط(2010م).
– جوليان (شارل أندري)، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس – الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1978